عمر ابن الفارض - الخمرية

شَرِبْنَا، على ذكْرِ الحبيبِ، مُدامَةً سَكِرْنَا بها، من قبل أن يُخلق الكَرْمُ

لها البدرُ كأسٌ، و هيَ شمسٌ، يُدِيرُهَا هلالٌ، و كم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجم

و لو لا شذَاها ما اهتدَيتُ لِحانِها، و لو لا سَناها ما تصَوّرها الوَهْمُ

و لم يُبْقِ منها الدّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ، كأنّ خَفاها، في صُدور النُّهى، كتْم

فإن ذُكرَتْ في الحَيّ أصبحَ أهلُهُ نَشاوى، و لا عارٌ عليهمْ، و لا إثم

و مِنْ بينِ أحشاء الدّنانِ تصاعدتْ، و لم يَبْقَ منها، في الحقيقة، إلّا اسمُ

و إن خَطَرَتْ يوماً على خاطرِ امرىءٍ أقامتْ به الأفراحُ، و ارتحلَ الهمّ

و لو نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتمَ إنائِها، لأسكَرَهُمْ من دونِها ذلكَ الختم

عمر ابن الفارض - الخمرية

و لو نَضحوا منها ثرَى قبرِ مَيّتٍ، لعادتْ اليه الرّوحُ، و انتَعَشَ الجسم

و لو طَرَحُوا، في فَيءِ حائط كَرْمِها عليلاً، و قد أشقى، لفَارَقَتْهُ السّقم

و لو قَرّبُوا، من حانِها، مُقْعَداً مشَى، و تنطِقُ من ذِكْرَى مذاقتِها البُكْم

و لو عَبِقَتْ في الشرق أنفاسُ طِيبِها و في الغربِ مزكومٌ، لعادَ لهُ الشَّمُّ

و لو خُضِبت من كأسِها، كفُّ لامسٍ لمَا ضَلّ في لَيْلٍ، و في يَدِهِ النجم

و لو جُليتْ، سِرّاً، على أَكَمَةٍ غَدا بَصيراً، و من راووقِها تَسْمَعُ الصّم

و لو أنّ رَكْباً يَمّموا تُرْبَ أرْضِهَا و في الرّكبِ ملسوعٌ، لمَا ضرّهُ السّمّ

و لو رَسَمَ الرّاقي حُرُوفَ اسمِها، على جَبينِ مُصابٍ جُنّ، أبْرَأهُ الرسم

و فوْقَ لِواء الجيشِ لو رُقِمَ اسمُها لأسكَرَ مَنْ تحتَ اللّوا ذلك الرّقْم

تُهَذّبُ أخلاقَ النّدامى، فيَهْتَدي بها لطريقِ العزمِ، مَن لا لهُ عَزْم

و يكرُمُ مَن لم يَعْرِف الجودَ كَفُّه و يحلُمُ، عند الغيظ، مَن لا لهُ حِلم

و لو نالَ فَدْمُ القومِ لَثْمَ فِدَامِها، لأكْسبَهُ مَعنى شماثِلها اللّثْم

يقولونَ لي: "صِفْهَا، فأنتَ بوَصفها خبيرٌ"، أَجَلْ! عِندي بأوصافها عِلم

صفاءً و لا ماءٌ، و لُطْفٌ و لا هَواً، و نورٌ و لا نارٌ، و روحٌ و لا جِسْمُ

تَقَدّمَ كُلَّ الكائناتِ حديثُها، قديماً، و لا شكلٌ هناك، و لا رَسم

و قامت بها الأشياءُ ثَمّ، لحكمَةٍ، بها احتَجَبَت عن كلّ من لا له فَهْمُ

و هامتْ بها روحي، بحيثُ تمازَجا، اتّـ ـحاداً، و لا جِرْمٌ تَخَلّلَه جِرْم

فَخَمْر و لا كرْم، و آدَمُ لي أب و كَرْم و لا خَمْر، و لي أُمُّها أُمّ

و لُطْفُ الأواني، في الحقيقة، تابع لِلُطْفِ المعاني، و المَعاني بها تَنْمُو

و قد وَقَعَ التفريقُ، و الكُلّ واحد، فأرواحُنا خَمْرٌ، و أشباحُنا كَرْم

و لا قبلَها قبل، و لا بَعْدَ بَعْدَهَا، و قَبْليّةُ الأبْعادِ، فهْي لها حَتْم

و عَصْرُ المَدى من قَبله كان عصرَها، و عهْدُ أبينا بَعدَها، و لها اليُتم

محاسِنُ، تَهدي المادِحينَ لوَصْفِهَا فَيَحْسُنُ فيها منهُمُ النّثرُ و النّظم

و يَطْرَبُ مَن لم يَدْرِهَا، عند ذِكْرِهَا كَمُشْتَاقِ نُعْمٍ، كلّما ذُكرَتْ نُعم

عمر ابن الفارض - الخمرية

و قالوا: شَرِبْتَ الإِثمَ! كلّا، و إنّما شرِبْتُ التي، في تركِها عندَيَ الإِثم

هنيئاً لأهلِ الدّيرِ! كمْ سكِروا بها، و ما شربوا منها، و لكِنّهم هَمّوا

و عندَيَ منها نَشْوَةٌ، قبلَ نشأتي، معي أبداً تبقى، و إنْ بَلِيَ العَظْم

عليكَ بها صِرْفاً، و إن شئتَ مَزْجَها فَعَدْلُكَ عن ظَلْم الحبيب هو الظُّلم

فَدُونَكَهَا في الحانِ، و استَجْلها به، على نَغَمِ الألحان، فهيَ بها غُنْمُ

فما سكنَتْ و الهمّ، يوماً بموضع، كذلك لم يسكُنْ، مع النّغَم، الغَم

و في سكرةٍ، منها، و لَوْ عَمْرُ ساعةٍ، تَرَى الدَّهْرَ عبداً طائعاً، و لك الحُكْم

فلا عَيْشَ في الدُّنْيا لمَن عاشَ صاحياً، و مَن لم يَمُتْ سُكْراً بها، فاته الحزم

على نفسه، فليَبْكِ مَن ضاع عُمْرُهُ و ليسَ لهُ فيها نَصيبٌ، و لا سهمُ